المبحث الثاني
نقد المجتمع

حفل شعر إبراهيم خليل علاف الوطني بألوان من النقد الاجتماعي البناء، حمل في حناياه مشاعره الوطنية والاجتماعية الصادقة التي هدفها الارتقاء بالفرد، على اعتبار أنه نواة المجتمع الذي يتكون منه الوطن.

وهو من خلال ذلك النقد الموجه يسعى جاداً لتخليص وطنه من العيوب والأدواء التي من شأنها -في حالة استشرائها -تهديد الوحدة التي تنتظم أبناءه، وهز المكانة السامية التي يتبوأها والمنتمون إليه في أعين الناس من حولهم.

لقد تناول العلاف في شعره الوطني عدداً من العيوب والأدواء الطارئة وغير المألوفة في مجتمع يستمد منهجه في الحياة من الشريعة الإسلامية السمحة، بكل ما تحويه من مبادئ وقيم وتعاليم.

والأدواء والعيوب الاجتماعية التي سلط عليها الأضواء ناقداً ومحذراً وموجهاً تتمثل فيما يأتي:

1- الكبر والغرور:

من الأدواء والعيوب التي تسللت إلى المجتمع ووجدت الطريق لها ممهداً للتغلغل في نفوس بعض أفراده، نتيجة لضعف الوازع

الديني لديهم والإحساس بالنقص والدونية، الكبر والغرور. وقد ساعد على تمكنه منهم حصولهم على ما يميزهم عن الآخرين، وقد جعلهم ذلك يتصورون أنهم أفضل من غيرهم، ممن يشاركونهم العيش على بساط الحياة الممتد.

والعلاف عندما يتصدى للمبتلين بهذا الداء العضال إنما يسعى لاستئصاله وتطهير نفوسهم منه، وذلك لإدراكه للأخطار والأضرار التي ستنجم عنه، والتي ستتجاوز الفرد إلى المجتمع ومن ثم الوطن.

وقد انتهج العلاف في تصديه لهذا الداء وسائل عدة، يأتي في مقدمتها التهكم والسخرية من المتجلببين بذلك الرداء الصفيق. فهو في قصيدته (مخدوع) يجسد مشاعر وأحاسيس إنسان ابتلى بداء الكبر، بحيث لم يعد يرى أو يسمع سواه على بساط الحياة الممتد، ويقدمه في صورة (كريكا تورية) تبعث في نفس متلقيها مشاعر الازدراء والاحتقار والإشفاق في آن(42):

أَخٌ قـد خَـانَـهُ الـكِـبْـرُ
وغَـمْـطُ الحقِّ و الـسُّـخْـرُ(43)
يَظلُّ مُـصَـعِّـراً خَـدّاً
صَـفِـيـقـاً لحْظُـهُ شَـزْرُ (44)

كَـمِــثْــلِ أَوزَّةٍ مُلِئَـتْ
غُـروراً فـيـه تَجْـتَـرُّ
كـأنَّ النـاسَ من صَـدَفٍ
لَـدَيـهِ وشَـخْـصُـهُ دُرُّ
حَـيـاةُ سِـواهُ تافِـهَـةٌ
وعِـزَّةُ غَـيـرِهِ نُـكْـرُ
وغَـيْـرُ سُلـوكِـهِ نَزَقٌ
وغَـيْـرُحـديثِـهِ قِـشْـرُ(45)

ويتوجه إلى ذلك الإنسان المتعجرف، متسائلاً عن كينونته التي يحاول تجاهلها، مبيناً له - على سبيل التندر والسخرية - عجزه عن فهمه ؛ عله يجد ما يدفعه إلى الظهور بذلك المظهر الأخلاقي السيئ(46):

أخي مَنْ أنت خَـبِّـرْني
فَـفَـضْـلُـكَ كُنْهُـهُ سِـرٌّ !؟
ولا تَبْـخَـلْ بِتَـرْجَـمَـةٍ
على مَـنْ عَـجْـزُهُ عُـذْرُ
ولا تَحْـسَـبْ مُناشَـدتي
بيـانَـكَ أنّهـا مَـكْـرُ
وأَنَّ غَـبـاوتـي زَيـفٌ
لـه يَتَـسَـتَّـرُ الخُـبْـرُ

وســـامِــحْنـي علـى جَــهْلـي

بِقَـدْرِكَ أيُّــهـــا الـوِتْــرُ(47)

وفي قصيدة أخرى يتوجه إلى ذلك المغرور المتكبر مذكراً له بأصله الذي منه جاء، والذي يحاول نسيانه والتسامي عليه، وببعض خواصه التي تحمل أدلة على ضعفه وعجزه، ولا يمكنه -بأي حال من الأحوال -إنكارها أو دفعها عن نفسه. وهو من خلال ذلك يحاول إرجاعه إلى جادة الصواب، وتخليصه مما هو فيه، حتى يعود فرداً صالحاً في المجتمع(48):

أَعَلِمْـتَ أَصلَكَ من تُرابٍ أَبْخــرا

أعرفْتَ بَذْرَكَ كيف فيه تَطَوَّرا(49)

أَشَـهِدْتَ أنَّ العَـجْـزَ فِـيْكَ بِدايَةٌ

ونِهــايَةٌ والضَّــعْفُ لَفَّكَ مِـحْــورا

فــيمَ الغُـرورُ إذن وفِـــيمَ تَطـاوُلٌ

أَظَنَنْـتَ أَنَّ الحقَّ أيضـاً سُــخِّــرا

إِنَّ التَّعـارُضَ في حَيـاتِكَ مُفْسِدٌ

خُـيَـلاءَ مِـثْلُكَ قـد تأَلَّهَ مَظْهــرا

هذا الذُّبابُ يَطُوفُ حـولَكَ هـازِئاً

ويَغـيـظُ فـاكَ فَـأَفْنِه مُـتَكَبِّرا

وأْمُــرْ برشْــحِكَ أن يَجِفَّ مُـؤَبَّداً

وبِطَلْقِ جَــوْفِكَ أن يَكُفَّ مُنفِّــرا

بـالـفِـكْــرِ أيَّـدَكَ الإلـهُ وبـالـهــدى
بهـمــا تُحَــقِّــقُ كُنْـهَكَ الـمُــتَـخَــيَّــرا

وإذا كـان العلاف في النصين السابقين لم يشـر إلى الأسـبـاب والدواعي التي زينت لبعض أفـراد المجتمع الظهور بذلك المظهر الشـاذ، فإنه في قصيدته (على لسان صديقين) يكشف عن أحد الأسباب القادرة على بذر ذلك الداء في النفوس الضعيفة الخاوية، وهذا السبب يتمثل في تسنم المناصب الوظيفية العالية في المجتمع.

وهو في تلك القصيدة يجسد خيبة أمله في أحد أصدقائه، بعد أن أججت الشوق في عالمه الذكريات الجميلة التي ما فتئت تطوف بمخيلته، وتلح عليه في زيارة ذلك الصديق القديم والزميل العزيز، الذي جمعته به مقاعد الدراسة -داخل الوطن وخارجه - فتوثقت بينهما عرى الصداقة، وبعد العودة تفرقا ليعمل كل منهما في قطاع من القطاعات الحكومية. وأمام سيل الذكريات، وتسامق الأشواق في وجدانه، لم يجد بداً من الذهاب لزيارته، ليصل ما انقطع. وما إن التقيا - بعد فترة غياب - حتى لاحظ الإعراض منه والجفوة، وبداله من ذلك الصديق ما كان خافياً، فقد تسلل الغرور والكبر إلى نفسه، وأخذت أذنه تتلذذ بعبارات الإطراء التي يتفنن في إلقائها الموظفون في دائرته، ليس لأنه يستحق ذلك منهم، و إنما وجدوا فيها طريقاً إلى ما يطمحون إليه، لمعرفتهم الأكيدة بحبه

لسماع مثل تلك العبارات الرنانة، لأنها تشعره بأهميته، وتحقق له شيئاً مفقوداً، يحسه هو لكنه لا يصارح به.

يقول العلاف مبدياً تألمه من موقف ذلك الصديق، ومن وضعه الذي آلِ إليه(50)

ويا هولَ ما لاقَيْتُ صَمْتاً وجَفْوَةً
غَدَا بِهما فَأْلِي كَئِيباً وشاحِبا
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الودَّ كدَّرَ صَفْوَهُ
غُرورٌ وحِذْرٌ قد تَضَخَّمَ كاذِبَا
وأَنَّكَ عَطَّلْتَ الضَّمِيرَ مُشايِعاً
هواكَ على نَبْذِ المبادئِ جانِبا
وأَمْسَيْتَ آذاناً ورأْساً مُطاوِعاً
خَلِياً لمن أَفْضَى إليه مُجَاذِبا
يَدُبُّ إليه الطَّامِعونَ خَنَافِساً
وَيسْرِي إليه الماكِرُونَ عقارِبا
فأَكْرَمْتُ نفسي أن أذلَّ تَمَلُّقاً
وصُنْتُ عفافي أَنْ يَرِقَّ مُعَاتِبا

2- التملق الاجتماعي:

من الأدواء التي ظهرت في المجتمع وتصدى لها العلاف في شعره الوطني، التملق الاجتماعي. وقد ظهر هذا الداء نتيجة

(لحاجة الناس، ولضعف التربية، وللتواكل لا التوكل، وفقدان الحياة العملية الجادة التي تزرع في الفرد من صغره)[51].

وأكثر ما يظهر هذا الداء في دوائر العمل، حيث يتخذه بعض الموظفين سلماً للوصول إلى غاياتهم التي يطمحون إليها.

واستشعار العلاف لخطر هذا الداء على الفرد وعلى الوطن بأسره دفعه إلى التصدي له، و إبداء سخطه - والناس من حوله - على من انتهجوا ذلك النهج في حياتهم، والذين شجعوهم عليه، حتى غدا سنة يقتفي فيها اللاحق أثر السابق ؛ لما في ذلك من ظلم وسلب لحقوق الناس المؤهلين والقادرين على القيام بأعمالهم على خير وجه، ومنحها لأناس ليسوا جديرين بها، لافتقادهم التأهيل العلمي والخبرة والجد والاجتهاد، وكل الذي يجيدونه التملق والتزلف، وعبارات معسولة فقدت جمالياتها وصدقها، إلا أنها تجد من يشنف لها أذنه من بعض المسؤولين الذين وضعتهم الأقدار في أماكن لا يستحقونها، فيصدقون كل ما يقال لهم وعنهم، ويسبغون على من يظهر لهم ذلك كل ما يطمح إليه ؛ حتى لا يفقدوا تلك النغمة المحببة إلى نفوسهم الجوفاء.

وها هو ذا يقول مخاطباً أحد المتلونين الذين وصلوا إلى غاياتهم عن طريق تزلفهم وتملقهم، لاعن كفاءة وجدارة[52]:

أَحُـزْتَ رِضَـى السِّـيـادات
وإنْعـاشَ الوَسَـاطـات
وفُـزْتَ بـرتْبَـةٍ عُظْمـى
وشـيكـاً دون إعْنـاتَ
و أجْـدَرُ مـنـكَ مُنْتَـظِـرٌ
عـلـى وَعْـدٍ و إفْـلات
وأكْـرَمُ مِنْـكَ سـابِقَـةً
يُعَكِّـزُ بالشَّـفـاعـاتِ

وعلى سبيل التندرو السخرية من الحالة التي آل إليها المجتمع نراه يحث المؤهلين من أبناء وطنه والجادين على سلوك الطريق نفسه، بإظهار الحب والتقدير لرؤسائهم، والتفنن في تنميق وسكب العبارات التي تجد لها صدىً عند من فقدوا جل مقومات النجاح ؛ حتى يصلوا إلى ما وصل إليه غيرهم، وطرح الكفاءة والجدارة والقدرات جانباً، لأنها لم ولن تجد لها تقديراً أو متنفساً في ظل الوضع الذي يعيشه المجتمع(53):

أخي إنْ شِئْتَ أنْ تَحْظى
بِسَهْمٍ في ارْتقِاءات
فَصَانِعْ وابْتَغِ الزُّلْفى
بتِكرارِ الزِّيارات

وأغْـمِضْ عَـيْنَك اليُـسْـرى
لأخْـطـــاءٍ ونَـــزْواتِ
وكُـنْ نـايـاً مـــخـارِجُـــهُ
مَـــعـازِفُ للدّعـــايـاتِ
وكُنْ في الحقِّ مُـقْـتَـصِـداً
وقَـوْسـاً للـرِّمَـــايـاتِ
ومُـــغْـــتـابـاً و إمَّـــعَـةً
تُصَـفِّـقُ للحَـمَـاقـاتِ

ويتجاوز في إدانته هذه التصرفات غير المسؤولةَ مجتمعه إلى الشرق الإسلامي عامة، حيث يقول(54):

فـــهـذا الشَّـرْقُ آفَـتُـــهُ
مناهَضَـــةُ الكفَـــاءاتِ
وكَمْ بِجُـحـــودِهِ نُسِـخَتْ
مُكافَـــأةُ الرِّجـــالاتِ

ويكشف عن هذه المأساة بعمق في قصيدته (الموظف) حيث يجسد فيها تسابق المؤهلين الجادين وغيرهم إلى التقديم في مكاتب العمل عندما يتم الإعلان عن إحدى الوظائف الشاغرة في أي قطاع من القطاعات، وما إن ينتهي ذلك التسابق، ويشتعل الانتظار في أحداق وأفئدة المتقدمين، حتى تعلن النتيجة. وقد يفوز

بها من يستحقها، إلاَّ أن فرحته بتلك الوظيفة سرعان ما تنطفئ. فما إن يكتشف رئيسه جده واجتهاده، ويقف على ذكائه المفرط، وعدم إقباله عليه بالعبارات الرنانة -لعدم إجادته لها وإيمانه بها - التي ألف سماعها فاشتاقت لها أذناه، حتى يأخذ في التفنن في التنكيل بذلك الموظف، والتنويع في أساليب التعامل معه، والتي من شأنها التأثير في نفسيته، وحرمانه من أبسط حقوقه بوصفه موظفاً مجتهداً، قادراً على إنجاز الأعمال والمهام المنوطة به[55]:

و إذا تَهادَتْ بالدَّلالِ وظيفَةٌ
أخْلى حِماها لِلرِّجالِ طَلاقُ
وغدا لخِطبتِها أَحَقُّ بِضَمِّها
غَارتْ و جَدَّتْ في أذاهُ رفاقُ
والخُسْرُ كُلُّ الخُسْرِ إنْ هو مُخلِ
ـصٌ مُتنزِّهٌ لا يَعْتريهِ نِفاقُ
كَمْ مَرَّةً أهْوَى عليهِ رَئيسُهُ
بِحُمولَةٍ فَأمَضَّهُ الإرْهاقُ
وإذا تَمَلْمَلَ قاصِراً عن فَضِّها
فَصَرامةٌ و مَلامةٌ و شِقاقُ
ومتى تَبَيَّنَ فيه ومْضَ مواهبٍ
وفراسةً شفَّتْ لها الأعْماقُ

كان التَّجاهلُ حَظَّهُ ويَفوقُهُ
بالسَّبْقِ من لا يَصْطَفيهِ سِباقُ

ويؤكد العلاف لمن ينتهجون هذا النهج مع التابعين لهم من الموظفين خطأهم، لأنهم يتسببون في حرمان الوطن من طاقات شابة، من شأنها أن تقدم لوطنها بعض ما يطمح إليه ويحلم به [56]:

إنَّ التَّفاظُلَ ليسَ كبْتَ كفاءَةٍ
لأخٍ أُحيطَ بِمَبْتَغاهُ وثَاقُ
وهي السَّعادةُ لاتَفُوحُ حَبِيسةً
كالعِطْرِ ضاعَفَ نَفْحَهُ الإطْلاقُ

وفي قصيدته (خداع) يضع الذين وصلوا إلى بعض المناصب عن طريق التملق والمداهنة وجهاً لوجه أمام نظرة المجتمع لهم، وهي نظرة تبدي انتباه أفراد المجتمع لمثل تلك السلوكيات السلبية، وتعكس سخطهم عليها، وكرههم لها. والعلاف يسعى من خلال ذلك إلى تخليص الواقعين من أبناء وطنه في براثن تلك السلوكيات، ويحث على تحقيق العدالة و إحقاق الحق ؛ إذ لا بد عنده من وضع الأمور في نصابها الصحيح، وأن ينال كل فردفي المجتمع ما يستحقه وفق مزاياه والجهد الذي يقدمه[57]:

إذا كُنْتَ حَقّاً من هُواةِ التَّسلُّقِ
فَأوَّلُ ماتَحْظَى بِتُهْمَةِ سَارِقِ

وأَنْتَ بَعَوْجاءِ السَّلالِمِ أُسْنِدَتْ

على قِمَمِ الأَشْلاءِ أضْعَفُ شَاهِقِ

فلا تَنْسَ مَعْروفَ المُحيطِ مُشَجِّعاً

لِمُصْطَنَعِ التَّمْثيلِ من غَثِّ طارقِ

3- المغالاة في المهور

من الأدواء التي انتشرت في المجتمع -لاسيما بعد الطفرة - ظاهرة مغالاة أولياء الأمور في مهور بناتهم ؛ طمعاً في كسب الأموال من وراء تزويجهن، وكأنهن سلعاً تباع وتشترى، ولسن فلذات أكباد من حقهن على آبائهن السعي لإسعادهن.

وانتشار هذه الظاهرة ومن ثم تماديها له آثار و عواقب وخيمة، سيتجرع الوطن والمنتمون إليه صابها وعلقمها.

وقد انتقد العلاف هذه الظاهرة، وأبان عن اختلال المعايير التي ترتبت عليها في النظر إلى الراغبين في الزواج من الشباب.

ففي قصيدته (مشكلات الشباب) يعرض لتلك السلبية التي اختلفت بسببها المعايير التي حث الدين الإسلامي على تحريها في الشباب الراغبين في الزواج. حيث يجسد حكاية شاب عصامي، تقدم إلى إحدى الأسر راغباً الزواج من إحدى بناتها، وقد أنست به من وقع عليها الاختيار بعد أن رأت ما يشدها إليه خلسة. وما إن أبدى تلك الرغبة لوالدها، حتى طلب منه مهلة ليقوم بالسؤال عنه،

فانصرف على أمل اللقاء مرة أخرى. وشرع الأبوان يسألان عنه إلاَّ أنهما نشدا شيئاً آخر غير الدين والأخلاق، وعندما وقفا على حاله الذي لم يعجبهما، أو صدا الباب في وجهه بتجاهلهما له ولطلبه، غير مبالين بموقف ابنتهم ولا برأيها فيه.

يقول العلاف في بداية القصيدة مجسداً رغبة تلك الفتاة في الزواج، مثلها مثل كل الفتيات في سنها[58]:

بَيْنَ بِنْتٍ و أَبِيهـا
وشَرِيكٍ يَبْتَغِيهـا
قد تَمنَّتْ في صِباها
فارِساً عَزَّ شَبِيهـا
وانْقَضى عامٌ فَعامٌ
تَهْضُمُ الصَّبْرَ الكريها
واسْتَوى منها شَبابٌ
واشْتِياقٌ يَعْتَرِيها
وفتى الأحْلامِ طَيْفٌ
ومِثالٌ يَسْتَبِيها

ويصف شعورها وما كان منها عندما علمت أن هناك من يريدها لنفسه، وأنه ماثل الآن أمام والدها، فراودتها نفسها برؤيته، وقد استطاعت بفضل أحاسيسها الملتهبة وحدسها أن تميزه من بين الجالسين[59]:

شَـعـرَتْ يَوْمـاً بِهـمْسٍ
عن خَطيبٍ يَصْطفِيـهـا
وبِلُطْـفٍ مَـيَّــزَتْهُ
جَـالِسـاً جَنْبَ أخِـيـهـا
وازَنَتْـهُ كَـيَّـفَـتْـهُ
آنَسـتْ فـيـه وجِـيـهـا
جَلْسَـةٌ أولى وولَّـتْ
وعـسى الأُخْـرى تَلِيـهـا

ثم يعـرض لموقف أهلها، ويكشف عن المعـايير التي يحرصـون عـلى توافـرهـا فـي ذلك الشـاب، واجـتـهـدوا في السـعي للوقـوف عليها(60):

وانْبـرَى سـاري التَّـحَـرِّي
نـاشِـداً دَخْـلاً وَفِـيـرا
يَضْـمَـنُ التَّـرْفِيـهَ جَـمّاً
يَجْـعَـلُ الفَـخْـرَ قَـريـرا
و إذا عُـقْـبـاهُ دَلَّـتْ
أنَّـهُ شَـبٌّ فَـقِـيـرا
لَـيْـسَ مـا يَـمْلِـكُ إلاَّ
جَـهْـدَهُ يَحْـيـا أجِـيـرا

ويقدم بعض الصفات المعنوية التي يتميز بها ذلك الشاب والتي ضحى بها أهلها، حرصاً على سعادتهم التي لا تأتي إلا بما يشبع بطونهم الجوفاء و أحداقهم الفارغة(61):

إِرْثُـهُ غُـرُّ السّـجـايا
بالـهُـدى أزْكى ضَـمِـيرا
وعِـصـامِيٌّ هُـمـامٌ
يَحْـصُـدُ الجِـدَّ مَـريرا
ذُخْـرهُ نَـزْرٌ كـفَـافٌ
لـيـس يَـزْدادُ كَـثـيـرا

وعندما حان موعد الزيارة الثانية لمعرفة رأي ذوي الفتاة، أناب الشاب من يذهب بدلاً عنه ؛ حتى لا ينكسر أمام الجمع، لإحساسه - منذ البدايات - بموقف الأبوين، ورغباتهما الدفينة التي لم يفصحا عنها(62):

واقْتَضَى الميعادُ رُجْعى
وارتَضَى عنه سَفِيرا
عَادَ لكنْ دُونَ بُشْرى
فَغَدا الحُزْنُ سَمِيرا

ويتبع موقف أهل الفتاة السيئ بموقفه هو بوصفه مواطناً يدرك أبعاد استشراء هذه الظاهرة، صاباً جام غضبه عليهم، بعد

أن فرطوا في شاب قد يقوده جده و اجتهاده إلى أن يكون ممن يشار إليهم بالبنان في المجتمع، وحكموا على ابنتهم بالعنوسة التي كانت ثمرة طبيعية لمغالاتهم وجشعهم(63):

كانَ سُخْفاً من ذَويها
أنْ يَرُدُّوا مُسْتَنيرا
سَوْفَ يَغْدُو بِكِفاحٍ
رائِعَ الحظِّ أَثيرا
أَعْنَسَتْ عَسْفاً وضَاعَتْ
وغدا الوَضْعُ خَطيرا

وفي قصيدة (شكاوى) يتيح الفرصة لإحدى الفتيات لتبوح بالآلام التي تتصارع في وجدانها بسبب مغالاة أهلها في مهرها، حتى عزف الخطاب عن طرق بابهم ؛ لمعرفتهم المسبقة بالرد الذي ينتظرهم إن هم هموا بذلك، قائلة(64):

أَيُرضيكَ باللهِ هذا العذاب
تُعانيهِ أُنْثَى بفعلِ الشَّبابْ
فعشرونَ عاماً مَضَتْ لم أذُقْ
لتلطيفِ شوقِيَ غيرالسَّرابْ
ولم يَكُ ذاكَ لنقصِ الجَمالِ
ولا لِغَريبِ السُّلوكِ يُعابُ

سوى أنَّ أَهْلي قد سَاوموا
بحسني حتَّى تلاشى اخْتِطابُ [65]

4- عيوب وأدواء أخرى

وقف العلاف في شعره الوطني عند عيوب و أدواء اجتماعية أخرى لا تقل عن سابقتها في الخطورة والآثار، ويأتي في مقدمتها عشق المال والتهافت على جمعه بالطرق المشروعة وغيرها، وقد ترتب على هذا الداء فساد في الأخلاق لدى الواقعين في براثن حب المال- من مالكيه أو الساعين إلى جمع أكبر قدر منه - وظنٌّ به على المحتاجين إليه، وعلى أوجه البر والخير المشرعة الأبواب.

وفي ذلك يقول العلاف مبيناً مرارة الحياة والعيش في ظل ذلك الصراع المحموم وراء جمع المال[66]:

أَصْبَحَ العَيْشُ صِراعاً
واضْطِراباً وضَياعَا
وغَدا مُرّاً كَريهاً
يَشْحَنُ الرُّوحَ صُداعا
ولُهاثاً خَلْفَ مالٍ
وفُجوراً يتداعى
غَلَبَ الحِلَّ حَرامٌ
ورَمَى الشَّرُّ قِناعَا

وعُـرى الأَخْـلاقِ حُلَّتْ
واشْتَكى الكُلَّ الْتِيـاعـا

وينعي على بعض عشاقه بخلهم الشديد به، وعدم دفعهم الحقوق الواجبة عليهم فيه، من زكاة، وصدقات. أو المشاركة بقدر منه في المشاريع التنموية التي ستعود عليهم وعلى أبناء وطنهم بالنفع والفائدة. ويحذرهم في الوقت ذاته من العاقبة التي تنتظرهم إن هم تمادوا في كنزهم لها(67):

وذوو اليَسَـارِ تَعَبَّـدوا أمْـوالَهُم
ونَسُـوا حُقـوقـاً للبـلادِ جِسـامـا
لا يَرْحَمُـونَ مـن البطالةِ كَـثْـرةً
تَجِـدُ الـرَّذائلُ بينهـا إكـرامـا
أو يُنْعِشـونَ من الثَّقـافـةِ مُستـوى
أو يُصْلِحـونَ من المرافقِ ذا مـا(68)
أو يَمْنَحـونَ البِـرَّ مُـضْطراً لـه
أو يُخْـرِجُـونَ من الزَّكَـاةِ حَـرامـا
سَتُطَوَّقـون بمـا بَخِلْتُم فـاتَّقـوا
نُذُرَ الإلـهِ وشَـذَّبوا الأرْقَـامـا

وإلى جانب هذا الداء والعيب هناك عيوب وأدواء أخرى ألمح إليها إلماحاً كالإسراف والتبذير خاصة من الزوجات، فهن كثيرات

المطالب، غير آبهات بما ستسفر عنه شمس الغد، في ظل محدودية رواتب بعض الأزواج، وكثرة الأبناء واحتياجاتهم.

يقول العلاف على لسان أحد الأزواج[69]:

أَفي كُلِّ شَهْرٍ مَلْبسٌ يَتَجَدَّدُ
ثَمينٌ و حَفْلٌ باهِرٌ يَتَرَدَّدُ
وتكْلِفَةٌ يَشْكُو الثَّرِيُّ اطرادَها
فما بَالُ أمثالي ودَخْلي مُحدَّدُ
ألا أقْصرِي عن بَهْرجِ العَيْشِ والمنى
وإلا خُطى طِفْلي تَلَوَّى بها الغَدُ

وداء آخر تفشى في المجتمع وله آثاره البالغة الخطورة على البنية الاجتماعية، وهو داء الطلاق، الذي جاء نتيجة لمحدودية النظرة عند بعض الأزواج، وعدم الإحساس بالمسؤولية، بالإضافة إلى العناد، وعدم الصبر عند مواجهة بعض الزوابع المثيرة للأمواج، وتغليب المصلحة الفردية التي ستعود على أحدهما دون التفكير في الأبناء ومصيرهم بعد وقوعه.

والعلاف يدرك خطورة هذا الداء على الأبناء والمجتمع بأسره؛ لذلك نجده في تصديه له يقوم بتقديم عدد من النصائح للزوجين؛ حتى لا يسهما في افتقاد الوطن لإحدى ركائزه ومكتسباته[70]:

فـإذا المـرونـةُ وُ فِّـقَـتْ
رِيـحُ الكرامَــةِ لـن تَثـورْ
أمَّـا إذا اشْـــتَـطَّ العِنَـا
دُ ولم يَعُـدْ سَهْلَ العُبورْ
عكْسَ البـدايةِ و التَّسـا
مُـحِ عَـبْــرَ أيَّامِ الغُـرورْ
فلقـد تَسَـلَّل لِلْعُــــرى
عُـثٌّ القَطيـعَـةِ والنُّفـورْ
و إذا الصِّغارُ هُمُ الضَّحا
يا بالِذُّ بولِ كمـا الزُّهورْ
مُسْـتَقْبَلُ النَّشْءِ الغَـريـ
ـبِ أَهَمُّ من كِبْرِ الصُّدورْ
وهُـمُ الـرِّبـاطُ الحَقُّ لل
أَبَوينِ في كُـلِّ العُـصـورْ
بِئْـسَ الطَّـلاقُ فــإنَّـهُ
كَفَنُ العَـواطِفِ والأُجـورْ
مَنْ ذُخْـرُهُ زاكـي الوفـا
ءِ، فَإنَّهُ الشَّطْرُ الفَخـورْ
لابُـدَّ مـن بَعْـضِ المـرا
رَةِ تَسْـتَقيـمُ بِهـا الأُمـورْ

وفي قصيدته (عالم اليوم)[71] يلمح إلى جملة من السلبيات والعيوب الاجتماعية، كالغلاء، والصداقة المغشوشة، والتبرج، والحسد.

obeikandl.com